

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْمُصَبَّحُ الْمُنِيرُ فِي تَهْذِيبِ تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ  
سُورَةُ الْوَاقِعَةِ مِنَ الْآيَةِ ۱ إِلَى الْآيَةِ ۱۲  
الشِّيخُ / خَالِدُ بْنُ عُثْمَانَ السَّبْتِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، قال المفسر رحمة الله تعالى:-: تفسير سورة الواقعة وهي مكية.

قال أبو إسحاق عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله، قد شببت؟ قال: "شَيَّبَتِنِي هُودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمَرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَسْأَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِرتَ" <sup>(١)</sup>، رواه الترمذى وقال: حسن غريب.

وروى الإمام أحمد عن جابر بن سمرة -رضي الله عنه- قال: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يصلى الصلوات نحو من صلاتكم التي تصلون اليوم، ولكنه كان يخفف، كانت صلاته أخف من صلاتكم، وكان يقرأ في الفجر "الواقعة" ونحوها من سور" <sup>(٢)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**{إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ \* لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَادِيْبٌ \* خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ \* إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجَّاً \* وَبِسْتَ الْجَبَالُ بَسَّاً \***

**فَكَاتَتْ هَبَاءً مُنْبَثِّتاً \* وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً \* فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ \* وَأَصْحَابُ الْمَشَامَةِ مَا**

**أَصْحَابُ الْمَشَامَةِ \* وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ \* أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ \* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}** [سورة الواقعة: ١-١٢].

الواقعة: من أسماء يوم القيمة، سميت بذلك لتحقيق كونها وجودها، كما قال: {فِيهِ مِنْ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} [سورة الحاقة: ١٥]، قوله: {لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَادِيْبٌ} أي: ليس لوقوعها -إذا أراد الله كونها- صارف يصرفها، ولا دافع يدفعها، كما قال: {اسْتَجِيبُوا لِرِبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ} [سورة الشورى: ٤٧]، وقال: {سَأَلَ سَائِلٌ بَعْدَابٌ وَاقِعٌ \* لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ} [سورة المعارج: ١-٢]، وقال تعالى: {لَوْيَوْمٍ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمٌ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} [سورة الأنعام: ٦٣].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، أَمَّا بَعْدُ:

قوله -تبارك وتعالى:-: **{إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ}** يقول الحافظ ابن كثير -رحمه الله:- "الواقعة من أسماء يوم القيمة"، كالطامة والصاخة والأزفة وما أشبه ذلك من الأسماء، يقول: "سميت بذلك لتحقيق كونها وجودها"، لتحقيق كونها قيل لها: واقعة، فهي ستقع لكنها واقعة لا محالة إن صح بهذا الاعتبار هذا الإطلاق، والمراد بالواقعة هنا القيمة، هل المقصود بها النفحة الأولى التي يصعب بها جميع الخلائق فيما دونها، أو المقصود بها

١- رواه الترمذى، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ومن سورة الواقعة، برقم (٣٢٩٧)، والحاكم في المستدرك، برقم (٤٣١٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم (٩٥٥).

٢- رواه الإمام أحمد في المسند، برقم (٢٠٩٩٥)، وقال محققته: صحيح لغيره، والبيهقي في السنن الكبرى، برقم (٥٠٦٧).

النفخة الثانية؟ يمكن أن يقال -والله تعالى أعلم-: إن المراد النفخ في الصور للمرة الثانية، ويمكن أن يستدل على ذلك بقوله تبارك وتعالى:- **{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً \* وَحَمِلَتِ الْأَرْضُ وَالجِبَالُ فَكُتَّا دَكَّةً وَاحِدَةً \* فَيَوْمَنِدِ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ \* وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَنِدِ وَاهِيَةً \* وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَانِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوَقَهُمْ يَوْمَنِدِ ثَمَانِيَّةً \* يَوْمَنِدِ تُعَرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَّةً}** [سورة الحاقة: ١٣-١٨].

هذا يكون بعد النفخة الثانية وليس النفخة الأولى، والله تعالى أعلم.

**ومعنى {كاذبة}** -كما قال محمد بن كعب-: لا بد أن تكون، وقال قتادة: ليس فيها مثنوية ولا ارتداد ولا رجعة.

قال ابن جرير: **والكافنة**: مصدر كالعقوبة والعافية.

ما ذكره هنا من الأقوال "لا بد أن تكون، ليس فيها مثنوية ولا ارتداد ولا رجعة"، وقول ابن جرير: "**والكافنة** مصدر كالعقوبة والعافية" كل هذا يرجع إلى معنى واحد، **{لَيْسَ لَوْقَعْتَهَا كَاذِبَةً}** أي: إن وقوعها لا يختلف وقوعها متحقق، فالشيء الذي يحصل ولا يختلف، يقال فيه ذلك، فهو وقوع مؤكد محقق ليس فيه مثنوية ولا تردد **{لَيْسَ لَوْقَعْتَهَا كَاذِبَةً}**، واقعة لا محالة لابد أن تقع، وقول ابن جرير: **والكافنة** مصدر بمعنى الكذب، يعني لا تختلف في وقوعها، يقول: "**والكافنة**: مصدر كالعقوبة والعافية، العاقبة بمعنى العقبي، والعافية بمعنى المعافة كما أن الكاذبة بمعنى الكذب، ويمكن أن يقرب المعنى هنا بتفسير ذلك بما يشبهه وإن كان في معنى آخر وذلك قوله تبارك وتعالى:- **{لَا تَسْمَعُ فِيهَا نَاغِيَّةً}** [سورة الغاشية: ١١] فاللاغية هنا أيضاً كما يقال هنا **الكافنة** مصدر فاللاغية أيضاً مصدر بمعنى **{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا}** [سورة النبأ: ٣٥]، **{لَا تَسْمَعُ فِيهَا نَاغِيَّةً}**، كقوله: **{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا}** [سورة الواقعة: ٢٥] والمعنى الأول هو ما ذكره الحافظ ابن كثير - رحمه الله-: لا تختلف لوقوعها، وقوع متحقق لا محالة بقيناً، وهذا دل عليه قوله تبارك وتعالى- هنا ذكر بعض الآيات:- **{اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ}** [سورة الشورى: ٤٧] لابد أن يقع، **{لِكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ}** [سورة المعارج: ٢]، **{وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}** [سورة الأنعام: ٧٣]، وأشباه ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى **{لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَبِّ فِيهِ}** [سورة النساء: ٨٧]، وكقوله: **{إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَبِّ فِيهَا}** [سورة غافر: ٥٩] فهذا معنى، والمعنى الآخر ليس في وقعة الواقعية نفس كاذبة **{لَيْسَ لَوْقَعْتَهَا كَاذِبَةً}** أي: مكذبة بمعنى إذا وقعت القيمة وقامت الساعة فعندئذ يعترف الناس بها، ويقررون باليوم الآخر ولا ينazuون فيه كما كانوا ينazuون في الدنيا، ويذكرون ويقولون: **{إِنَّا مِنْتَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظَامًا أَنَا لَمْبَعُوثُونَ}** [سورة المؤمنون: ٨٢]، **{إِنَّا كُنَّا تُرَابًا أَنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ}** [سورة الرعد: ٥]، **{إِنَّا مِنْتَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ}** [سورة ق: ٣] ففي الآخرة إذا قامت القيمة صدقوا واعترفوا وأذعنوا **{لَيْسَ لَوْقَعْتَهَا كَاذِبَةً}** أي نفس كاذبة، عندئذ يصدق الناس جميعاً ويعترفون بذلك اليوم الذي كانوا يذكرون به، كما قال الله -عز وجل-: **{لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ}** [سورة الشعراء: ٢٠١]، **{وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مُرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَعْتَهُ}** [سورة الحج: ٥٥] فهذا معنى، وقيل غير ذلك **{لَيْسَ لَوْقَعْتَهَا كَاذِبَةً}** فمن أهل العلم من يقول: لا ينبغي أن يكذب بها

أحد، يعني هي أمر حكم الله به وأخبر عن وقوعه فليس لأحد أن يكذب فيه، وهذه المعاني على هذا التدرج، يعني الأقرب هو المعنى الأول، ثم يليه الثاني والثالث أبعادها، والله تعالى أعلم.

وقوله هنا: **{إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ}** "إذا" هذه ظرف م ضمن معنى الشرط قوله: **{إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ}** هل جوابه **{لَيْسَ لَوْقَعَتْهَا كَانِيَّةً}**? يعني: إذا وقعت صدق الناس بها وأقروا ولا يكذبون وينازعون فيها أحداً؟ أو إذا وقعت الواقعة فإن وقوعها متحقق، أو يقال: **{إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ}** إذا قامت الساعة وحصل ما حصل مما أخبر الله -عز وجل- به من انشقاق السماء وانكسار النجوم وما شابه ذلك من الأهوال والأوجال ظهر عندئذ منزلة أصحاب الميمونة وأصحاب المشامة كما قال الله -عز وجل-: **{إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ \* لَيْسَ لَوْقَعَتْهَا كَانِيَّةً \*** **خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ \*** **إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا \*** **وَبَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا \*** **فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا \*** **وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً \*** **فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ**} فعندئذ يكون أصحاب الميمونة بحال من النعيم، وأصحاب المشامة في حال من الشقاء **(وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ \* أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ)** فإذا قامت القيمة قامت الساعة وقعت الواقعة انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام.

وقوله: **{خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ}** أي: تحفظ أقواماً إلى أسفل سافلين إلى الجحيم، وإن كانوا في الدنيا أعزاء، وترفع آخرين إلى أعلى عليين إلى النعيم المقيم، وإن كانوا في الدنيا وضعاء، وهكذا قال الحسن وقتادة، وغيرهما.

**{خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ}** هذا الذي ذكره الحافظ ابن كثير -رحمه الله- "تحفظ أقواماً إلى أسفل سافلين" يعني: في الآخرة، قوله: **{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ}** [سورة النساء: ١٤٥] وإن كانوا في الدنيا أعزاء **{إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ \*** **وَإِذَا مَرُوا بِهِمْ يَتَغَامِزُونَ \*** **وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ}** [سورة المطففين: ٣١-٢٩]، إلى أن قال: **{فَالَّذِيْمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ}** [سورة المطففين: ٣٤]، ويقول: "إن كانوا في الدنيا أعزاء، وترفع آخرين إلى أعلى عليين، إلى النعيم المقيم، وإن كانوا في الدنيا وضعاء، **{فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى}**" [سورة طه: ٧٥] يقول: "هكذا قال الحسن" وغيره، وقال العوفي عن ابن عباس **{خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ}** أسمعت القريب والبعيد، وقال عكرمة: خفشت فأسمعت الأدنى ورفعت فأسمعت الأقصى، وكذا قال الضحاك وقتادة، وهكذا قول من قال: خفضة لبعض الأجرام التي كانت مرتفعة كالنجوم، فإنها تندر وتنتشر، والجبال تسير وتكون هباءً منبذاً، والأرض التي هي سافلة منهبطة تكون بارزة، كما قال الله -عز وجل-: **{وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً}** [سورة الكهف: ٤٧]، فالآية تحمل هذه المعاني **{خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ}**، تخفض أقواماً وترفع آخرين، تخفض بعض الأجرام وتهبط بأخرى، والله -عز وجل- لم يحدد شيئاً، وهذا كله يقع في يوم القيمة.

وقوله تعالى: **{إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا}** أي: حركت تحريكاً فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها، ولهذا قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وغير واحد في قوله: **{إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا}** أي: زلزلت زلزاً شديداً.

وقال الربيع بن أنس: ترج بما فيها كرج الغربال بما فيه.

وهذا قوله تعالى: **{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا}** [سورة الزلزلة: ١].

الرج هو التحرير بقوة وشدة كما صور هنا في بعض هذه الأقوال، كما "يرج ما في الغربال"، والغربال هو المنخل الذي يوضع فيه الحب من أجل تصفيته، فهو يرج؛ ليتصفى **{إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا}** حركت تحريراً شديداً.

وقال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زِلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ}** [سورة الحج: 1].  
وقوله: **{وَبَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا}** أي: فُتَّتْ فَتَّا، قاله ابن عباس -رضي الله عنهما-، ومجاده، وعكرمة، وقتادة، وغيرهم.

هذا هو المعنى المبادر المشهور الذي عبر به أكثر المفسرين **{وَبَسَّتِ}** أي: فُتَّتْ، ومنه البسيطة تُفتَّت بمعنى البسيطة عبارة عن دقيق ملتوي بسمن ونحوه يفتَّ فهو ليس كتلة جامدة صلبة، وإنما مفتَّت فيه لين **{وَبَسَّتِ الْجِبَالُ}** هذه الصلبة القاسية فتصير بهذه المثابة، كما قال الله -عز وجل-: **{كَثِيبًا مَهِيلًا}** [سورة المزمول: 4] يعني: رملًا متهايلاً، الرمل المتهايل إذا حركت طرفاً منه تداعى باقيه، هذا الرمل المتهايل الكثيف تحرك طرفاً منه يتهايل الباقي، وأخبر الله تعالى أنها تكون كالعهن المنفوش، يعني: الصوف المنفوش الذي يتطاير، والله -عز وجل- أخبر عن الجبال بأمور متعددة في مواضع من القرآن، فالجبال تطلع من أماكنها، وتتناثر حتى تصير كالسراب الذي لا حقيقة له، وإنما يتراهى للناظر فحسب، **{وَسَيِّرَتِ الْجِبَالُ}** [سورة النبأ: 20]، فلا يبقى لها أثر حتى تصير كالسراب الذي لا حقيقة له، وإنما يتراهى للناظر فحسب، **{وَسَيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا}**، قوله هنا: **{وَبَسَّتِ الْجِبَالُ}** هذا المعنى الذي ذكره الحافظ -رحمه الله- هو الأشهر، ويحتمل أن يكون ذلك بمعنى التسبيح، ويكون مفسراً بقوله: **{وَسَيِّرَتِ الْجِبَالُ}** فالعرب تعبّر بالبس عن التسبيح، تقول: بَسَّتِ الإبل، بمعنى سقتها وسيرتها، وهذا المعنى يحتمل، ويمكن أن يفسر البس بالتسبيح، ويمكن أن يفسر بالتفتت، وهذا كله من الأشياء التي تحصل وتتحقق في يوم القيمة بالنسبة للجبال، قوله: **{كَثِيبًا مَهِيلًا}** يدل على هذا المعنى **{وَكَالْعَهْنِ الْمَنْفُوشِ}** [سورة القارعة: 5] يدل على التفتيت، **{وَسَيِّرَتِ الْجِبَالُ}** هذا يدل على المعنى الآخر.

وقوله تعالى: **{فَكَانَ هَبَاءً مُنْبَثًا}**، قال أبو إسحاق، عن الحارث، عن علي -رضي الله عنه-: **{هَبَاءً مُنْبَثًا}** كرهج الغبار يسطع ثم يذهب، فلا يبقى منه شيء.

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله: **{فَكَانَ هَبَاءً مُنْبَثًا}**: الهباء الذي يطير من النار، إذا اضطررت يطير منه الشر، فإذا وقع لم يكن شيئاً.

وقال عكرمة: المنبث: الذي ذرته الريح وبثته، وقال قتادة: **{هَبَاءً مُنْبَثًا}** كبيس الشجر الذي تذروه الرياح. هذه المعاني متقاربة **{فَكَانَ هَبَاءً مُنْبَثًا}** الشيء الصغير الخفيف الذي يتطاير يقال له: الهباء، المنبث يعني: المنتشر، هذا الذي يدخل من الكوة إذا وقعت الشمس على الأرض فتجد شيئاً يتطاير في غاية الدقة، يقال له: هباء، فتناثرت هذه الجبال ذات الكتلة الصلبة حتى تصير بهذه المثابة **{هَبَاءً مُنْبَثًا}** فهذا يقال له: هباء، وهذا العرب تقول لما يتطاير فيتصف بالخفة: هباء، كالذي يتطاير من النار، وكرهج الغبار المتطاير.

وهذه الآية كأحوالها الدالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيمة، وذهابها وتسيرها ونسفها -أي قلعها- وصيورتها كالعهن المنفوش.

وقوله: **{وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً}** أي: ينقسم الناس يوم القيمة إلى ثلاثة أصناف: قوم عن يمين العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن، ويؤتون كتبهم بأيمانهم، ويؤخذ بهم ذات اليمين.

**{وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً}** الأزواج بمعنى الأنواع أو الأصناف، فالصنف يقال له: زوج، وهذه الأصناف هي المذكورة في آخر السورة في قوله: **{فَلَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ \* فَرَوْحٌ وَرِيَاحٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ \* وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ \* فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ}** [سورة الواقعة: ٩١-٨٨] إلى آخر ما ذكر الله - تبارك وتعالى -، وقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - هنا: "ينقسم الناس يوم القيمة إلى ثلاثة أصناف قوم عن يمين العرش" يعني: أصحاب الميمنة، وقيل لهم أصحاب الميمنة؛ لأنهم عن يمين العرش، ولأنهم خرجوا من شق آدم الأيمن، ويؤتون كتبهم بأيمانهم، ويؤخذ بهم ذات اليمين، فهي أربعة أشياء، ومن السلف من قال: لأنهم يكونون عن يمين العرش، ومنهم من قال: لأنه يؤخذ بهم ذات اليمين، ومن قائل: لأنهم خرجوا من شق آدم الأيمن، ومنهم من قال: إنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، فجمعها الحافظ ابن كثير - رحمه الله - جميعاً؛ لأنه ليس عندنا ما يحدد واحداً منها، فكل هؤلاء أصحاب ميمنة، فمن يأخذ كتابه بيمينه من أصحاب الميمنة، ومن يؤخذ بهم ذات اليمين من أصحاب الميمنة، وعن يمين العرش من أصحاب الميمنة، وهكذا.

قال السديّ: وهو جمهور أهل الجنة.

يعني: أكثر أهل الجنة من أصحاب اليمين، فالدليل على أنهم أكثر أهل الجنة قوله: **{وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخَرِينَ}** [سورة الواقعة: ٤٠]، وقال في السابقين **{ثُلَّةٌ مِّنَ الْأُولَئِينَ \* وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخَرِينَ}** [سورة الواقعة: ١٣-١٤]، فهو لاء أكثر أهل الجنة بينما في السابقين: قليل من الآخرين، فأكثر أهل الجنة من أصحاب اليمين، وليسوا من السابقين. وأخرون عن يسار العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر، ويؤتون كتبهم بشمائهم، ويؤخذ بهم ذات الشمال، وهم عامة أهل النار - عيادة بالله من صنيعهم.

ذكر المعاني الأربع في أصحاب الشمال، ومن أهل العلم من يقول: العرب تعبر باليمن والشمال عن الرفيع والوضيع، فالمعاني التي ذكرها هنا أقرب، والله أعلم.

وطائف سابقون بين يديه وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم فيهم الرسل والأبياء والصديقون والشهداء، وهم أقل عدداً من أصحاب اليمين؛ ولهذا قال: **{فَاصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ \* وَأَصْحَابُ الْمَشَامِةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشَامِةِ \* وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ}**.

يعني: هذا الاستفهام **{فَاصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ}** يراد به التعجب، والتعظيم أيضاً والتغريم **{الْحَافَةُ مَا الْحَافَةُ}** [سورة الحافة: ٢-١] فمثل هذا الذي يذكر مهماً هكذا يكون أوقع في النفس وأفحى سوءاً كان في مقام الوعيد أو كان في مقام الترغيب أو كان في مقام المدح والثناء، ويترك للسامع أن يتصور ما تحته من معانٍ، فيسرح الذهن في تصور ذلك، **{فَاصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ}** بعض الناس يقول مثلاً: أنا الذي تعرفي، ما يحتاج أن يشرح، ولا يفصل قوله الشاعر: "وشعرى شعري" يعني: شعري شعري الذي تعرفونه، يقول: "قلمي قلمي"، يقول: إذا كتبت عرفتم كتابتي، يعني قلمي الذي تعرفون **{فَاصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ}**.

وهكذا قسمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وقت احتضارهم، وهكذا ذكرهم في قوله تعالى: **{ثُمَّ أُرْثَنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ}** الآية [سورة فاطر: ٣٢].

مع وجود فارق فإن أصحاب المشامة **{أَصْحَابُ الشَّمَالِ}** [سورة الواقعة: ٤١] هؤلاء هم الكفار الذين يؤتون كتابهم بشمالهم، وفي هذه الآية **{ثُمَّ أُرْثَنَا الْكِتَابَ}** هي في طوائف هذه الأمة، يعني أمة الإجابة؛ لأنَّه قال بعدها: **{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا}** [سورة فاطر: ٣٣]، فالجمع بهذه "الواو" يدل على أنَّ الطوائف الثلاث تدخل الجنة، **{فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ}** ولهذا قال بعض أهل العلم: حق لهذه "الواو" أن تكتب بماء العينين؛ لأنَّها جمعت طوائف الأمة الثلاث، كلَّهم يدخلون الجنة.

وقال محمد بن كعب وأبي حَرْزَةَ يعقوب بن مجاهد: **{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ}**: هم الأنبياء -عليهم السلام-، وقال السُّدِّي: هم أهل عليين.

هذا من قبيل التفسير بالمثال، وقد لا يريد قائله الحصر، وإنما أراد أن يمثل من هم السابقون، فقال: الأنبياء، الرسل، الصديقون، فيقرب المعنى بذلك **{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ}**، يقال فيه كما سبق، يعني السابقون هم الذين اشتهرت حالهم بهذا **{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ}** لا يحتاج إلى أن يفصل ويصف، **{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ}** لا تسأل عن حالهم ومعينهم، السابق هو السابق، تقول: المجتهد هو المجتهد **{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ}**، وتحتمل: السابقون إلى الإيمان والعمل الصالح هم السابقون إلى الجنة.

المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أُمرُوا، كما قال تعالى: **{وَسَارُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ}** [سورة آل عمران: ١٣٣]، وقال: **{سَابَقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا كَعْرُضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}** [سورة الحديد: ٢٢]، فمن سابق في هذه الدنيا وسبق إلى الخير كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، فإنَّ الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان؛ ولهذا قال تعالى: **{أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}**.

**{السَّابِقُونَ}** هم الذين يبادرُون بفعل الخير، يفعلون الواجبات والمستحبات، ويتركون المحرمات والمشتبهات والمكريّات، ومن كان يبادر ويُفْعَلُ النِّوافل، ولكنه يعصي الله -عز وجل- ويُتَّبع هواه فإنَّ هذا لا يكون من السابقين، والله تعالى أعلم.